مجلة الرائد

العدد : ٢١٤ الموافق في رجب ١٤٢٠ هجري ١١ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : المسلمون وقوى التسلط العالمي	بقلم : التحرير

تشهد الدنيا منذ عقود ظهور تيارات احتجاجية تؤمن بالإسلام منهج حياة ، وتنادي بالتحرر من الفكرة الغربية التي فُرضت على المسلمين ، وهي مغايرة لحضارتهم وثقافتهم ، وتؤكد هذه التيارات على عدوانية الغرب وانتهاكه لحرمة أرضهم وثقافتهم ، وثرواتهم ، وحقهم في النهوض والمشاركة في قيادة سفينة البشرية .

ولقد أدرك أصحاب القرار السياسي والاستغلالي (الاستعماري) في الغرب أن العالم الإسلامي يمور بحركات وأفكار ، وأن بحث المسلمين عن حريتهم قد يعيد صياغة النظام العالمي ، الذي أقامه الغرب وفرضه بالترغيب والترهيب منذ قرن من الزمان ، ولهذا فقد صمم صناع السياسة الغربية على التصدي - بقوة وشراسة - لكل الصيغ التي تحاول الفكرة الإسلامية النفوذ من خلالها إلى ساحة المواجهة المكشوفة المباشرة مع الفكرة الغربية وإفرازاتها ، ولعل الأمثلة توضح هذه الحقيقة ، وسأشير إلى الجديد منها :

*** فلسطين : من الذي صنع مأساتها ؟ ولماذا ؟**

الجميع يعلمون أن دول أوروبا الاستعمارية هي التي اتخذت قراراً بتجزئة المنطقة العربية ، التي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وبإقامة جسم بشري غريب وقوي يمزق أوصالها ، وقد أوصت بذلك لجنة ترأسها اللورد باترمان عام ١٩٠٧م من أجل مواجهة التحديات التي تهدد مصالح الاستعمار الأوروبي . ثم جاءت أمريكا فورثت القوى الأوروبية الاستعمارية ، وتبنت هذا القرار الجائر .. لأن هذه المنطقة ما تزال تشكل تهديداً لقوى التسلط العالمي .

ويعلم الجميع أيضاً أن عملية تزوير التاريخ والواقع قد تمت من خلال ما أسموه " الشرعية الدولية " التي أصدرت قرارات جائرة تقضي بسلخ أجزاء من فلسطين وإعطائها لليهود الذين هُجِّروا إلى هذا الجزء العزيز من بلاد المسلمين .

وحين نهضت مجموعات تروم مقاومة الاستعمار الاستيطاني عملت قوى القهر العالمي والمحلي على إدخال المنطقة في حروب وأزمات رهيبة ، وفي أثناء ذلك نمت صحوة إسلامية داخل فلسطين

وخارجها ، وكان أن عبرت عن نفسها داخل حدود فلسطين بانتفاضة شعبية مدركة لأبعاد التآمر العالمي والتخاذل العربي .

هذي الحجارة يا أبي لغةٌ لنا لمـــا رأينـــا أننـــا لا ننـــصف
لمـا رأينـا أن «حاخامـاتهم» يتلاعبون بنـا فيرضـى«الأسفُفُ»
لمـــا رأينـــا أن أمتنـــا علـــى أرض الخـلاف قطارُهـا متوقّـف

في هذه الظروف المبشرة بظهور جيل جديد من المقاومين الرافضين للهزيمة.. وفي ظروف متغيرات دولية .. طرحت أمريكا " الحل السلمي " وسارت بالفكرة شيئاً فشيئاً إلى أن حصلت على اعترافات جماعية من « جامعة الدول العربية » و « منظمة المؤتمر الإسلامي » بأن « إسرائيل » وجدت لتبقى ، وأن ما سلبته في حرب ١٩٤٨م حلال لها ، وإنما الخلاف حول ما احتلته بعد حرب عام ١٩٦٧م ، فهـذا فيـه قـرارات دوليـة صـريحة !! . ونـتج عـن هـذا التوجـه " كامب ديفيد " و " أوسلو " و " وادي عربة " .. وأكاد أقول : إنه لم يبق في خندق المقاومة الحقيقية إلا التيار الإسلامي كقوة معتبرة . وهذا التيار تنهال عليه السهام من خارج الحدود وداخلها ، وتنال منه قوى التشويه والتزوير والهزيمة وتحاصره .. وصار صاحب الحق « إرهابياً » متطرفاً ، وعليه أن يختار أحد أمرين : إما السكوت وإما التصفية ، سواء كانت حقيقية أم معنوية !! وقد تتمكن قوى القهر والاستغلال من القضاء على الصورة الآنية لمقاومة الأمة ، ولكنها لن تستطيع اقتلاع حقيقة الاستعمار الاستيطاني اليهودي المدعوم من الغرب ، وستبقى الأمة منتجة لصور الرفض والمقاومة إلى أن يحق الحق ويزهق الباطل .. ويبوء المعتدون بالخسران ...

* **القوقاز** : وهي أرض إسلامية اعتدى الروس عليها فسلبوها ، وأذاقوا سكانها ألواناً من التعذيب والاضطهاد والتهجير ، ونهبوا خيراتها .. حتى خُيل للناس أنها جزء من الإمبراطورية الروسية .. بل إن معظم المسلمين قد جهلوا حقائق تاريخ هذه المنطقة وجغرافيتها .. إلى أن فاجأ الشيشان الدنيا بمطالبهم التي لا يجوز أن يختلف فيها اثنان .. وهي : **أن ترحل روسيا من أرضهم وإراداتهم وحضارتهم** ، وهذا ما يعبر عنه دولياً بـ « حق تقرير المصير » .. وكانت جولة صراع مرير شهدناها بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦ ، أسفرت عن اتفاق يعترف للشيشان بخصوصياتهم ويعد بحل علاقتهم مع الاتحاد الروسي بطرق حضارية .. ولكن الدولة الروسية لم تفِ بوعودها ، وحاولت الالتفاف على

الاتفاق بتعزيز وجودها في مناطق محيطة بالشيشان كداغستان ، وهذا الذي فجَّر الأوضاع وطرح من جديد أزمة القوقاز .

وهبت قوى التسلط والقهر العالمي لتصنع في القوقاز ما صنعته في فلسطين .. وأبرزت دعاة التحرر والاستقلال « مخربين » و « إرهابيين » ويجب أن يتضامن المجتمع الدولي في التصدي لهم !! واستغلت سلطات الجشع الدولي كون الإسلام هو المحرك للمطالبة بالتحرر والانعتاق من العبودية للدولة الروسية .. فشنت حملة رهيبة أوصلت من خلالها رسالة إلى الناس ، ومضمونها « الإسلاميون إرهابيون » و « الإسلام دين دموي » !! .

وأمام هذا السلوك الجائر .. استسلمت حكومات العالم الإسلامي ، وتناست الحقائق ، ورفعت صوتها منددة بـ « الإرهاب » ، وكان عليها أن تقول : كفوا عن تزيف الواقع وناقشوا جوهر الموضوع ، وارفعوا أيديكم عن القوقاز المسلمة.

* **الجزائر** : وقصتها تتلخص في أن تيار التغريب شعر بأن الشعب يؤيد التيار الإسلامي ،

فسارعت المؤسسة العسكرية إلى تسفيه عقول الشعب الجزائري الذي أساء الاختيار وأوقفت الانتخابات التي قالت بصراحة : لا للاستلاب الحضاري ونعم للهوية الإسلامية الأصيلة . ومنذ ذلك اليوم والجزائر تموج في بحر من الدماء .. ولم تقف قوى التسلط العالمي مكتوفة الأيدي ، بل سخرت وسائلها ودهاتها وأتباعها لتأزيم الموقف حتى يصير الحليم حيراناً .. ودخلت وسائل التشويه والتضليل المعركة فأبرزت الإسلاميين « إرهابيين » ،« متشددين » ، « دمويين » .

* **تركيا** : التي كانت آخر معقل للخلافة الإسلامية .. وجهت أوروبا من خلالها ضربة ظنتها

تقضي على الفكرة الإسلامية ، فدعمت توجهات أتاتورك الذي خالف القيم الإنسانية جميعها ، حتى خُيّل إلى العلمانيين أن الإسلام قد رحل عن تركيا ، ومرت سنوات وسنوات وإذا بالإسلام العظيم ينهض داعياً إلى الأصالة ومحذراً من الفكر الدخيل الذي دمر البلاد وآذى العباد ، وعبر الفكر الإسلامي بصور متعددة عن رفضه للتغريب ، ومن جملة ذلك التيار السياسي الذي قاده حزب الرفاه ، ويقوده الآن حزب الفضيلة .

لم يحتمل علمانيو تركيا رؤية رجال ونساء مثقفين يتبنون الإسلام منهجاً للحياة ، ويطرحونه بديلاً للفكرة الغربية الاستعمارية ، ويؤمنون أنه السبيل الوحيد الذي ينسجم مع طبيعة الشعب ويخرج بالبلاد

من التبعية ، لذلك سارعوا إلى المحاصرة وسعوا إلى حظر الرفاه ، وها هم اليوم في هياج رهيب من حزب الفضيلة ، الذي تنعته وسائل الغرب التشويهية بالأصولية والتشدد .

* **اندونيسيا** : وحتى هذا البلد الذي سيطر عليه الاستبداد المدعوم بالتأييد الغربي ، والذي سعى إلى وأد الأصوات المعارضة ، وخصَّ الاتجاه الإسلامي بالمراقبة والأذى الكبير ، وفتح أبواب اندونيسيا أمام التنصير حتى باتت مضرب المثل في هذا المجال .. اندونيسيا هذه فاجأت العالم بأن التيار الإسلامي موجود ، وأنه ينظم نفسه للمشاركة في الحياة السياسية ، وفق الدستور المعمول به في البلاد ، وحين اختار مجلس الشعب الاندونيسي مرشح التيار الإسلامي ليكون رئيساً للبلاد ثارت ثائرة المتغربين والغرب .. وظهرت التحليلات التي تنال من الإسلام وتتهم المسلمين بالتشدد وضيق الأفق ..

ولعل هذا الذي برز يشرح جانباً من التصرفات الغربية تجاه تيمور الشرقية ، فقد برزت هذه المشكلة بسرعة ، واتخذت المؤسسة الدولية (!!) القرارات السريعة ، وباشرت في تنفيذها حتى تربك اندونيسيا حين يتم فيها تغيير ولو بسيط ، ولعل هذا يوضح بعضاً من الأسباب الكامنة وراء أزمة النمور الآسيوية التي كانت على أبواب المشاركة الفعالة في القرار الدولي ..

إن الغرب يمتاز بوجود مؤسسات الرصد والتحليل والاستنتاج .. وهي - من غير ريب ترصد توجهات الناس ، وقد أحست أن نَفَساً إسلامياً هادئاً يروم التحرر من قبضة الهيمنة الغربية .. وعلى الغرب أن يتصرف .

* **الخليج** : وما جرى فيه من حروب طاحنة مدمرة .. لم تكن قوى التسلط العالمي بعيدة عنه ، فقد أدركت هذه القوى أن المنطقة قد تجمعت فيها إمكانات واعدة بالتحرر من الهيمنة الغربية ، وأن حركة نشيطة تعمل على تراكم الأفكار والمفاهيم والأخلاق المحررة من السيطرة الثقافية ، والداعية إلى النهوض الحضاري، وقدَّرت دوائر الرصد أن إيران تتفاعل فيها عوامل الانفجار والثورة ، وأن مصلحة أمريكا في ترك الأوضاع تسير إلى الإطاحة بالشاه ، وهذا يضمن تأزيم المنطقة وإدخالها في صراع مذهبي وفكري ، فإذا وقع الدمار كان التدخل الأمريكي - (الغربي) له ما يسوِّغه .

واندلعت حرب الخليج الأولى ، ووقفت دول الخليج خلف العراق ، ودعم الغرب العراق مستفيداً من الأموال الطائلة التي قدمتها حكومات خليجية ، وغرقت المنطقة ، والعالم الإسلامي ، بالدماء والدمار والأحقاد ... !!

وحين توقفت الحرب كان لا بد من استغلال إفرازاتها المستنقعية ، وكانت أمريكا قد هيأت نفسها لمهمة مباشرة في الخليج ، وبدأت بحماية سفن النفط ، فلما وقع الخلاف بين العراق والكويت قامت بتأزيم المواقف ، ويوم هجم العراق على الكويت انتهزت أمريكا الفرصة وقذفت بقواتها إلى الخليج ، وبعد خروج العراق من الكويت بقيت قواعد أمريكا البحرية والبرية ، وباشرت نوعاً من الاستعمار المباشر .

ولما ارتفع الصوت الإسلامي داعياً إلى رحيل القوات الأجنبية ، والفكرة الغربية ، أطلقت أمريكا - ومن ورائها أوروبا - حملتها الشعواء الهادفة إلى التشكيك بالحركة الإسلامية ، وإلى محاصرتها وضرب مؤسساتها وما سمته « البنية التحتية » .

وبعد : فهذه أمثلةيسيرة توضح أن هناك عدواناً غربياً واسع النطاق وشاملاً لأدق شُعَب الحياة في العالم الإسلامي ، وأن أهداف هذا العدوان هي : مسخ الإنسان المسلم ، وفرض التبعية على هذا العالم ، واستنزاف خيراته ، وأن مراكز القرار في الغرب ، وقوى الجشع والاستغلال ، مصممة على تركيع العالم الإسلامي ..

وهذه الأمثلة تدل على أن المسلمين لن يقرَّ لهم قرار ، ولن تهدأ نفوسهم إلا إذا أخرجوا الطامعين الناهبين المستكبرين من بلادهم ، وثقافتهم ، وثرواتهم ، وإرادتهم .

وقد يتمكن سياسيو الغرب مدعومين بقوى مالية عالمية وأخرى محلية من القضاء على صورة من صور المقاومة .. وهم لا شك يدركون أنه انتصار في جولة ، وأن هذه الأمة قادرة على توليد الفكر المقاوم والجهد المحرر والإرادة الماضية .. وأنه من الخير للغرب وللمسلمين ولسائر البشر أن يتوقف الغرب عن اختراع وسائل القضاء على المسلمين الأحرار كلما نادوا بالتحرر من الاستعمار الغربي ، فإذا فعل قادة الغرب ذلك أحسنوا إلى أنفسهم أولاً ، وأحسنوا إلى البشرية ثانياً ، وكانوا منسجمين مع ما يرفعونه من شعارات .

وندعو المسلمين إلى التمسك بالحق ، والصبر على المحن ، وأن يوقنوا بقول الله عزَّ وجلَّ : { ... إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ... } [النساء : ١٠٤]